التحليل الاستعاري للفظ الشهادتين في ضوء نظرية المزج التصوري

Metaphorical Analysis of The Shahadatan in Light of Blending Theory

مها بنت دليم القحطاني*

جامعة الملك خالد– المملكة العربية السعودية m-hour@hotmail.com

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2022-02-17	2022-03-15	2023-01-26

ملخّص: يعنى هذا البحث بدراسة الاستعارات التصورية المرتبطة بالشهادتين في الإسلام انطلاقا من منظور اللسانيات العرفانية، وبالضبط منظور نظرية المزج التصوري. ويسعى إلى الإجابة عن إشكال أساسي مفاده لم انتشر الدين الإسلامي في الجزيرة العربية، وفشلت الديانتان اليهودية والمسيحية في فعل ذلك؟ يحاجج هذا المقال بأن الاستعارات التصورية أدت دورا هاما في هذا الانتشار؛ إذا ابتكرت تصورات ذهنية أسهمت في دخول الناس في هذا الدين، ومن أهمها اعتبار "الدين بناية"، و"الشهادتين مفتاحا" لدخول هذه البناية التي تتيح للمنتمي إليها حقوقا كان العربي في أمس الحاجة إليها، كالأمن والمساواة، والحماية، إلخ.

كلمات مفتاحيّة: الشهادتان؛ الاستعارة التصورية؛ نظرية المزج التصوري؛ البناية–الرؤية؛ الفهم؛ المفتاح.

Abstract: This research investigates the conceptual metaphors connected with the Shahada in the Islamic religion from the perspective of cognitive linguistics, namely the blend theory. In this light, the article aims at answering a key problematic question that boils down to: how did the Islamic Religion manage to spread all over the Arab Peninsula, whereas both the Christian and the Jewish ones failed? This research argues that the Islamic conceptual metaphors played a decisive role in this success. This is illustrated in the cognitive concepts created by this religion that urged people to embrace it. One of the most significant ones is viewing religion as a

* المؤلف المرسل

building to which the Shahada is the key. This latter grants those who have it some rights Arabs were in a dire need to, such as safety, equality, and protection, etc.

Keywords: Shahadatan; Conceptual Metaphor; Blend Theory; Building; Understanding; Key.

1-المقدمة إن أهم شيء توصلت إليه "نظرية الاستعارة التصورية" التي أرسى معالمها الرئيسية جورج لايكوف ومارك جونسون (1980) هو أن الاستعارة ترتبط بنظام تفكيرنا، ومن هنا تسميتها بالاستعارة التصورية. إن الاستعارات وفقا لهذين الباحثين تعبر عن نظامنا التصوري، وطريقة تفكيرنا في الأمور وطريقة تمثلنا لها. وقد حذر جورج لايكوف من خطورة الاستعارات، في مقال له بعنوان الاستعارة والحرب (1991)، ودافع عن ابتكار استعارات جديدة تسهم في تطوير الحياة وازدهارها وإشاعة جو من السلام والأمن (1980).

بناء على هذه المسلمة التي انتهت إليها أبحاث الدارسين للاستعارة التصورية، وعلى ما انتهى إليه محمد نعمان الجارم فيما يتعلق بعدم قدرة الديانتين اليهودية والمسيحية على القضاء على الوثنية في بلاد العرب، نظرا لمخالفة تعاليمهما لأخلاق العرب[1]، ينطلق هذا البحث من فرضية سنحاول تمحيصها، ومفادها: إذا كانت الاستعارات التصورية التي تعكسها التعابير الاستعارية اللغوية تؤثر في نمط إدراكنا للأشياء المحيطة بعالمنا، ومن ثم تؤثر في سلوكنا، فلا شك أن الدين الإسلامي الذي شاع في جزيرة العرب ثُمَّ في باقي بلدان المعمور، قد استطاع تغيير التصورات عن الدين التي كانت شائعة في عصره، فهل نجدُ لهذا التغير دلائل على المستوى اللغوي، ومن ثم التصوري؟ أم إن هناك شيئا آخر مؤثرا في سيرورة التاريخ البشري؟

ويهدف هذا البحث إلى محاولة معرفة التصورات التي قدمها العقل الإسلامي لهذا الركن من أركان الدين الإسلامي، والتي جعلت المشركين أو سكان الجزيرة

العربية ينخرطون بشكل جماعي في هذا الدين الجديد الذي ظهر في مكة المكرمة. ونرى أن قوة الدين الإسلامي وسرعة انتشاره يعودان-على الأقل وجزئيا-إلى قوة الاستعارات التي أتى بها الدين الإسلامي والتي استطاعت أن تغير تصور الإنسان العربي ما قبل الإسلام إلى الدين.

وبغية الإيفاء بهذا الهدف الذي نرومه، سنستعين في بحثنا بالخلاصات التي انتهى إليها بعض الباحثين في الديانات السماوية، حيث سنجعل منها منطلقا لتعزيز تصورنا حول قوة الاستعارة وقوة إقناعها، بل قدرتها على تغيير التصورات الذهنية البشرية، ومن ثم سلوك الفرد والجماعة.

ونتخذ معجم "مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني منطلقا لهذا البحث، بما أنه يؤسس للمعاني الإسلامية في القرآن، وننظرُ إلى معاني لفظ الشهادة في هذه المعجم كنقط نفاذٍ إلى المعاني الموسوعية التي تتيحها الثقافةُ العربيةُ بصفة عامة، ومن ثمَّ الانفتاح على الدلالات والمعاني المرتبطة بلفظ الشهادتين في القرآن والسنة وما أسبغوه على هذه الأركان من تصورات استعارية، وننظر كذلك إلى بعض الأمثلة المعاصرة من خطب الشيوخ أو الباحثين المعاصرين.

وينبني منهج اشتغالنا على ثلاث خطوات: نحدِّدُ في الخطوة الأولى الاستعارات، ثم نؤول في الخطوة الثانية هذه الاستعارات وفق نظرية المزج التصوري، ونفسِّرُ في الخطوة الثالثة هذه الاستعارات في ضوء بعض الخلاصات التي توصل إليها بعض الباحثين في الديانات السماوية. لكن قبل ذلك لا ضير من عرض نظري نوضح فيه مفهوم اللسانيات العرفانية، وبصفة خاصة مفهوم الدلالة العرفانية، ثم نبسط فيه نظرية المزج التصوري.

1. اللسانيات العرفانية: Cognitive Linguistics

تأتي كل نظرية لتجيب عن سؤال معين أو تنظر إلى ظاهرة مَا نظرةً مختلفة عن نظرية أخرى. ومن ثم تتحدَّدُ خُصُوصِيَّةُ النظريات في كونها تعارض نظريات سابقة لها. وكذلك هو تاريخ تطور العلوم بشتى أنواعها الإنسانية والاجتماعية فما بالنا بالعلوم المادية[2].

ويرى ويليام كروفت وألان كروز، مؤلفا كتاب "اللسانيات العرفانية" أن اللسانيات العرفانية مقاربة تدرس اللغة، وهي مقاربة ظهرت سنة 1970، قبل أن تنشط حركة التأليف فيها سنة 1980، ثم تعرف بعد ربع قرن إنجاز أبحاث كثيرة اهتمت في الجزء الأكبر منها بالدلالة، وفي جزء آخر بالتركيب والمورفولوجيا، وفي جزء ثالث وأخيرٍ بمواضيع أخرى، من قبيل: اكتساب اللغة والفونولوجيا واللسانيات التاريخية[3]. ويميِّزُ الأزهر الزناد بين توجُّهَيْنِ كبيرين في اللسانيات العرفانية: توجه أوربي وتوجه أمريكي. ويرى بغلبة التوجه الأمريكي كمًّا وكيفًا ويميِّزُ فيه بين قسمين كبيرين: القسم الأول يَضُمُّ كل المقاربات التي تحمل اسم العرفانية في عناوينها والقسم الثاني يضمُّ البرنامج الأَدْنَوِيَّ لتشومسكي الذي اهتم فيه بالعمليات العرفانية في النحو المضمر (الفردي) والكُلِّيِّ. ويشير التوجه الأمريكي إلى اهتمام القسم الأول بالدلالة واهتمام القسم الثاني بالنحو، وقد أدَّى هذا الأمرُ إلى قيام اللسانيات العرفانية على هذين الشقين، أي الدلالة والنحو[4].

وتقوم اللسانيات العرفانية على ثلاث فرضيات أساسية وجهت أبحاثها في اللغة، وهي:

أولا–اللغة ليست ملكة مستقلة؛ أي أن تمثيل المعرفة اللغوية هو أساسا تمثيل للبنيات التصورية الأخرى نفسها، وأن العمليات التي تستعمل المعرفة فيها ليست مختلفة عن القدرات العرفانية التي يستعملها الإنسان خارج مجال اللغة.

ثانيا–النحو مَقْوَلَةٌ؛ ومعنى ذلك أن البنية التصورية لا يمكن أن تختزل إلى تناسبات شروط صدق بسيطة ملائمة للعالم، فالمظهر الأساسي للقدرة العرفانية الإنسانية هي مَقْوَلَةُ التجربة بُغْيَةَ إيصالها.

ثالثا–تَبْرُزُ معرفة اللغة من استعمالها؛ بمعنى أن المقولات والبنيات في الدلالة والتركيب والمورفولوجيا والفونولوجيا، تُبْنَى من عرفانيتنا بملفوظات محددة في مناسبات معينة للاستعمال(5).

ويشير الباحثان إلى أن هذه الفرضيات هي رَدُّ فِعْلٍ على الدراسة الدلالية للسانيات التوليدية ودلالة شروط الصدق؛ "إذ يعارض المبدأ الأول الفرضية المشهورة للنحو التوليدي، التي ترى أن اللغة ملكة عرفانية مستقلة أو قالب منفصل عن القدرات العرفانية غير اللغوية، بينما يعارض المبدأ الثاني دلالة شروط الصدق التي تُقَوِّم الميتالغة الدلالية انطلاقا من الصدق والكذب المرتبطين بالعالم أو بنموذج للعالم، ويعارض المبدأ الثالث الميولات الاختزالية في النحو التوليدي ودلالة شروط الصدق التي تسعى إلى جعل تمثيلات الشكل والمعنى النحويين مجردة وعامة لأقصى حد، وجعل الظواهر النحوية والدلالية مَعْنِيَّةً بما هو غير مركزي"(6).

ويشير إيفانز وغرين مؤلفا كتاب "اللسانيات العرفانية: مقدمة (2006) إلى أَنَّهُ من الأفضل أن نصف اللسانيات العرفانية بكونها مقاربة، لكونها تتبنى مجموعة مشتركة من الالتزامات والمبادئ الموجهة، التي تؤدي إلى مجموعة مختلفة من النظريات المكملة لبعضها الآخر والمتداخلة (وأحيانا المتنافسة)(7). فما هي هذه الالتزامات والمبادئ؟

1-1-مبادئ اللسانيات العرفانية: التزامان نقديان

يرى الأزهر الزناد أن من المبادئ الموجهة للدرس اللساني العرفاني الالتزام بأمرين هما: الالتزام بالتعميم والالتزام العرفاني. ويشير الباحث إلى أن هذين المبدأين سطرهما لايكوف سنة 1990، وتبلورا في كتابات عرفانية عديدة. وأوردهما كالآتي:

1-2-1-الالتزام بالتعميم: Generalization Commitment

يرى الزناد أن الالتزام بالتعميم يتمثل في استيعاب الدرس اللساني العرفاني جميع مظاهر النشاط اللغوي[8]. وقد سبق أن قلنا إن اللسانيات العرفانية تقوم على افترض ترفض فيه اعتبار اللغة قالبا مستقلا عن المظاهر غير اللغوية من جهة، وأن اللغة ذاتها قوالب من الصواتة والصرافة والتركيب والدلالة من جهة أخرى. واللسانيات العرفانية ترفض هذه النظرة، وتسعى إلى دراسة اللغة ككل، بل ودراستها باعتبارها انعكاسا للتصورات الذهنية البشرية.

وللالتزام بالتعميم نتائج ملموسة على دراسات اللغة؛ فهو أولا يجعل اللسانيات العرفانية تركز على ما هو مشترك بين مظاهر اللغة، ساعيةً إلى إعادة استعمال المناهج والتفسيرات الناجحة عبر هذه المظاهر. ومتخذةً مقاربة عمودية بدل المقاربة الأفقية في دراسة اللغة. إذ يمكن النظر إلى اللغة على أنها مكونة من مجموعة من الطبقات المتمايزة من التنظيم. وتعطي المقاربة العمودية غِنًى في النظر إلى اللغة، عبر أخذ قطعة عمودية من اللغة تتضمن الصواتة والصرافة والتركيب وبطبيعة الحال الدلالة[9].

1-2-2-الالتزام العرفاني: Cognitive Commitment

يمثل الالتزام العرفاني نظرة مفادها أن مبادئ البنية اللغوية ينبغي أن تعكس ما هو معروف عن العرفانية البشرية في التخصصات الأخرى، خاصة العلوم العرفانية (كالفلسفة، وعلم النفس، والذكاء الاصطناعي، وعلم الأعصاب). وبعبارة أخرى،

يقتضي هذا الالتزام أن اللغة والتنظيم اللغوي ينبغي لهما أن يعكسا مبادئ عامة بدل عكس مبادئ خاصَّةٍ باللغة فقط[10]. ويشير الزناد إلى أن هذا الالتزام يندرج اندراجا طبيعيا في الالتزام بالتعميم؛ "إذ لا يستقيم تعميم في شأن اللغة ما لم يستقم من زاوية عرفنية عامة، ولذلك وجب أن تُرَاعَى طبيعة العرفنة وخصائصها في إقامة النظرية اللسانية فيلغى منها كل ما ليس ذا أرضية عرفنية"[11].

1-2-الدلالة العرفانية:

يرى إيفانز وغرين أن الدلالة العرفانية نشأت بوصفها ردة فعل تُّجاه النظرة الموضوعية للعالم السائدة في التقليد الإنجليزي والأمريكي في الفلسفة؛ أي ما دُعِيَ بدلالة شروط الصدق truth-conditional semantic، التي طُوِّرَتْ فيما بعد في الدلالة الشكلية، حيث تَنْزَعُ هذه الدلالة التنظيم العرفاني من النظام اللغوي كما ذهبت إلى ذلك إيف سويتسر[12].

إن الدلالة العرفانية، خلافا لهذه النظرة، تنظر إلى المعنى اللغوي بوصفه تجليا لبنية تصورية، وهو ما أكده ليونارد تالمي في ذهابه إلى أن "البحثَ في الدلالة العرفانية بحثٌ في المحتوى التصوري وتنظيمه في اللغة"[13]. ولا يعتبر إيفانز وغرين الدلالة العرفانية نظرية موحدة، بل هي-في نظرهما-مقاربة تدرس الذهن في علاقته بالتجربة والثقافة المُجَسْدَنَانِ embodied. وهي تفعل ذلك عن طريق دراسة اللغة على اعتبار أنها أداة منهجية لكشف التنظيم والبنية التصوريين؛ معنى هذا أن اللغة نقط نفاذٍ إلى البنية التصورية الموجودة في الذهن البشري، أو بعبارة أخرى اللغة انعكاس لهذه البنية التصورية[14]. وسنخصص المحور الفرعي الأول للحديث عن المبادئ الأربعة الموجهة للمقاربات التي تنتمي إلى الدلالة العرفانية، هذا قبل أن نختم بالحديث عن المنهجية في الدراسة الدلالية العرفانية.

1-2-1-المبادئ الموجهة للبحث في الدلالة العرفانية: حدد إيفانز وغرين أربعة مبادئ موجهة للعمل في الدلالة العرفانية. هذه المبادئ تعكس نظرة الدلاليين العرفانيين إلى اللغة في علاقتها بالبنية التصورية وبالعالم الموضوعي الذي نعيش فيه. كما تركز على عملية بناء المعنى. ونورد هذه المبادئ وفق الترتيب الآتي:

أولا-البنية التصورية بنية مُتجسدة: يدرسُ الدلاليون العرفانيون طبيعة العلاقة بين البنية التصورية والعالم الخارجي. ويسعون إلى بناء نظرية للبنية التصورية تكون منسجمة مع الطرق التي نختبر بها العالم. وتعد فرضية العرفانية المتجسِّدة embodied cognition thesis أحد المبادئ التي تبلورت أثناء دراسة طبيعة هذه العلاقة بين البنية التصوري والتفاعل البشري مع العالم، ومفاد هذه الفرضية أن طبيعة التنظيم التصوري تبرز من التجربة الجسدية[15]. ويقدم إيفانز وغرين مثالا يوضح هذه الفرضية من خلال "تخيل رجل في غرفة مغلقة"؛ فالغرفة تمتلك خصائص بنيوية من قبيل كونها ذات جدران أربعة وسقف وباب مغلق. تعمل هذه الخصائص على إبراز خاصية وظيفية جديدة هي الاحتواء. والاحتواء ناتج عن أمرين؛ فهو أولا ناتج عن خصائص الغرفة وثانيا، وجزئيا، عن خصائص الجسد البشري؛ إذ البشر لا يستطيعون المرور عبر التجويفات الصغيرة مثلما يستطيع الغاز فعل ذلك، أو الزحف من خلال الشقوق تحت الأبواب كما يستطيع النمل فعل ذلك[16].

وترتبط هذه الفرضية بمفهوم مركزي في الدلالة العرفانية هو مفهوم خطاطة الصورة image schema. وهي "شبكة تصورية تنظم نشاطاتنا الجسدية ومعارفنا الذهنية، وتؤسس لضروب سلوكنا، وتحكم رؤيتنا المنسجمة للحياة والكون"(17). ولتوضيح هذا المفهوم يسوق الباحثان مجموعة من الأمثلة التي وردت في كتاب الاستعارات التي نحيا بها للايكوف وجونسون، نوردها كما يأتي[18]:

أ) إنه في حالة حب
ب) لقد خرجنا من المصاعب الآن
ج) سيخرج من حالة الغيبوبة عما قريب
د) إنه في سعادة لا توصف
هـ) أصبح مصابا بالاكتئاب.

يرى لايكوف وجونسون أن الأمثلة أعلاه، تُمثِّلُ إسقاطا استعاريا لخطاطة صورة الحاوية على مجال تصوري مجرد هو الحالات states، التي تنتمي إليها مفاهيم من قبيل: الجسد والاضطراب trouble والصحة، وهذا يؤدي إلى استعارة تصورية الحالات حاويات[19]. ويتسبَّبُ الإسقاط الاستعاري في ظهور مفاهيم ملموسة، مثل خطاطة الصورة انطلاقا من تجربة جسدية، وبهذا المعنى البنية التصورية مُجَسْدَنَةٌ[20].

ثانيا-البنية الدلالية بنية تصورية: يدل هذا المبدأ على كون اللغة تحيل على مفاهيم في ذهن المتكلم بدلا من إحالتها على أشياء في العالم الخارجي، لكن لا يعني هذا أن البنية الدلالية والبنية التصورية متماثلتان، فالمعاني المرتبطة بالكلمات تشكل مجموعة فرعية من المفاهيم الممكنة. ويشير إيفانز وغرين إلى مثال المنطقة التي تحت الأنف وفوق الفم الذي ينبت فيها الشارب معتبرين أنها مفهوم موجود في الذهن، لكن مع ذلك لا نجد في اللغة الإنجليزية كلمة تدل عليه.

ثالثا-تمثيل المعنى موسوعي: مفاد هذا المبدأ أن الكلمات لا تمثل حُزَمًا مَحْشُوَّةً بالمعنى بِدِقَّة (النظرة القاموسية) بل هي "نقط نفاذٍ" إلى مخازن واسعة من المعرفة الموسوعية المرتبطة بمفهوم خاص أو مجال تصوري[21]، ويمكن تقديم مثال يوضح ذلك في قول سَلْمَى لصديقتها المتزوجة قبل سنوات التي لم تنجب بعدُ:

"زوجك لا يحب الأطفال "، فعلى الرغم من كون التحديد المعجمي متناقضا فكيف يكون الزوج كارها للأطفال، إلا أن الصور النمطية للرجال من ناحية حب إنجاب الأطفال تجعلنا نفهم المثال السابق باعتباره تحذيرا موجها للزوجة لتهتم بموضوع إنجاب أطفال لزوجها. إن هذا المثال يوضح أن المعاني المرتبطة بالكلمات غالبا ما تستند إلى مجموعات معقدة ومطورة من المعرفة[22].

رابعا–بِنَاءُ المَعْنَى مَقْوَلَةٌ: يَعْنِي هذا المبدأ أن اللغة ذَاتَهَا لا تُشَفِّرُ المعنى، فإن الكلمات ليست سوى "محفزات" prompts لبناء المعنى الذي يُبْنَى في المستوى التصوري، وبناء المعنى يعادل المَقْوَلَةَ، والمَقْوَلَةَ عملية دينامية تعملُ فيها الوحدات اللغوية كَمُحَفِّزَاتٍ لِتَشْكِيلَةٍ من العمليات التصورية التي تُوَظِّفُ المعرفة الخلفية[23].

إن بناء المعنى في الدلالة العرفانية ليس شيئا مستقلا، بل هو عملية تستند إلى المعرفة الموسوعية، وتتضمن استراتيجيات استدلالية ترتبط بمظاهر مختلفة للبنية التصورية. ويرى جيل فوكونيي (Gille Fauconnier, 1994; 1997) أن المعنى عملية دينامية تحدث في الذهن انطلاقا من إسقاطات بين فضاءات ذهنية متمايزة وحاويات تصورية من المعلومات التي تبنى خلال عملية آن قولية[24] on–line لبناء المعنى[25]. وسنفصل في نظرية الفضاءات الذهنية في المحور المرتبط بهذه النظرية.

1–2–2–النظريات والمقاربات الأساسية في الدلالة العرفانية: جرد إيفانز وآخرون (2007) ثماني نظريات أساسية في علم الدلالة العرفانية، وهي نظريات تشتغل وفقا للمبادئ الأربعة الموجهة للعمل في الدلالة العرفانية، وهذه النظريات هي: نظرية (خطاطة الصورة)، ونظرية (الدلالة الموسوعية)، ونظرية (المَقْوَلَةُ والنماذج العرفانية المُؤَمْثَلَةُ)، ونظرية (الدلالة المعجمية العرفانية)، ونظرية (الاستعارة التصورية)، ونظرية (الكناية التصورية)، ونظرية (الفضاءات الذهنية)، ونظرية (المزج

التصوري)[26]، ونظرا للحيز الذي يمكن أن يأخذه عرض هذه النظريات سأقتصر على نظرية المزج بما أنَّها تشكل الإطار المنهجي لبحثي.

1-2-2-1-نظرية المزج التصوري: تهتم نظرية المزج التصوري بعملية بناء المعنى في الذهن، وتحاول تفسير التقييمات الناتجة عن مزج فضاءين ذهنيين ببعضهما بعضا، مقترحة أن بناء المعنى من خلال هذا المزج يُنْتِجُ معنى يتجاوزُ الأجزاء المشكلة لبنائه. وبعبارة أخرى إن المزج يُنْتِجُ معنى هو نتيجة تفاعل فضاءين ذهنيين، وهو تفاعل يؤدي إلى خلق فضاء جديد. وقد بلور كل من جيل فوكونيي صاحب نظرية الفضاءات الذهنية ومارك تورنر المشتغل بالاستعارة التصورية الإبداعية نظرية المزج لتفسير مجموعة من الظواهر التي عجزت النظريتان المتولدة عنهما عن تفسيره.

وتقوم نظرية المزج على ادعاء أساسي مفاده أن الخيال البشري يؤدي دورا حاسما في العمليات العرفانية، والاهتمام بالخيال البشري فيها ناتج عن انشغالها بتفسير البنية اللغوية ودور اللغة في بناء المعنى، وبصفة خاصة المظاهر الإبداعية لبناء المعنى، مثل الاستعارات الجديدة، والوقائع المضادة للواقع counterfactuals، وغير ذلك. ويمكن الحديث عن نظرية المزج من خلال ثلاث نقاط.

أولا-أصول نظرية المزج التصوري:

انتبه فوكونيي وتورنر في دراستهما لعملية بناء المعنى إلى أنه-في حالات عديدة-يُشْتَقُّ مَعْنَى بعضِ الظواهر البلاغية من بِنْيَةٍ غير متاحة في البنية اللغوية أو التصورية التي توظف بوصفها مدخلا لعملية بناء المعنى. وقد انبثقت نظرية المزج التصوري من محاولتهما تفسير هذه الملاحظة. والمثال الذي طرحاه لشرح هذا الأمر هو 'هذا الجراح جزار'؛ حيث يريان أن نظرية الاستعارة التصورية لا تستطيع تفسير

التقييم السلبي الذي نستشفه من هذه الاستعارة. إذ يفسر هذا المثال فيها عبر عملية إسقاط بين مجالين، وهو ما يوضحهما الجدول أسفله[27]:

المصدر: جزار	إسقاطات	الهدف: جراح
جزار	←	جراح
سكين	←	مبضع
لحم حيوان	←	إنسان مريض
تقطيع	←	إجراء عملية

الجدول 1: إسقاطات هذا الجزار جراح.

تطرحُ هذه الاستعارة تقييما سلبيا غير موجود في المجالين، وهو ما يطرح فرضية كونه ناشئا من عملية المزج بين المجالين أو فضاءي الدخل بمصطلحات نظرية المزج التصوري. وبعبارة أخرى لا يعتمد بناء المعنى على عمليات إسقاط تصوري بسيط كما في حالة نظرية الاستعارات التصورية، ولا على إضافة إسقاطات بين النظراء في الفضاءات الذهنية (جزار/جراح، سكين/مبضع ... إلخ)؛ فالتقييم السلبي واضحٌ، ويبدو أنه غير ناتج من مجالي الدخل المرتبطين بالاستعارة، "ومن أبرز إضافات نظرية المزج التصوري أنها ترصد انبثاق مثل هذه المعاني التي يستلزمها المثال السابق، من خلال افتراض مفاده أن بناء المعنى يستلزم بروز بنية دلالية جديدة؛ أي قدرا من المعنى أكثر مما ينتج عن مجرد ضم الأجزاء المكوِّنة إلى بعضها"[28].

ثانيا-نحو نظرية للدمج التصوري:

يلخص الزناد ما تقوم عليه نظرية المزج قائلا: "تقوم نظرية المزج على تمثيل ما يجري من العمليات العرفنية آن القولِ والتفكيرِ، وتجتمع تلك العمليات فيما يسميه أصحابها شبكة المزج المفهومي. وقوام هذا المنوال عدد من العناصر والعمليات منها الأفضية الذهنية والإسقاط ما بين الأفضية والفضاء الجامع والمزج والإسقاط الانتقائي والتركيب والإكمال (الإتمام) والبلورة فالبنية الناشئة"[29]. ونوضح مكونات هذه النظرية خطوة فخطوة.

بُغيةَ تفسير استعارة هذا الجراح جزار اقترح فوكونيي وتورنر أن شبكة الدمج تتكون من فضاءي دَخْل، حيث تربط عناصر كل دَخْلٍ input عن طريق الإسقاطات. ويفسر الشكل التالي ذلك:

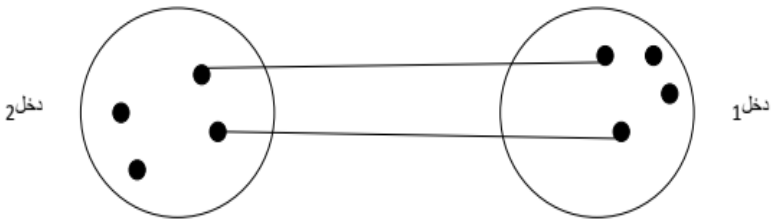

الشكل 1. روابط العناصر عبر الدخلين.

يتكون الشكل أعلاه من فضاءي دخل أشير إليهما بدائرتين، وعناصر أشير إليها بنقط سوداء، وإسقاطات بين الدخلين أشير إليهما بخطوط أفقية، وإلى هذا الحدود فإن نظرية المزج التصوري تشبهُ نظرية الاستعارة التصورية، إلا أن الفرق بين الفضاءات الذهنية والمجالات، هو أن المجالات بنياتُ معرفةٍ موجودةٌ سلفا وثابتةٌ نسبيا، بينما

الفضاءات الذهنية بنياتٌ مؤقتة تُبتكرُ خلال العملية الآن قولية line-on لبناء المعنى.

كما أنَّ شبكات الدمج في نظرية المزج ليست متكونة من فضاءي الدخل فحسب، بل هي مُكَوَّنَةٌ من وحدات متعددة الفضاءات، مثل شبكات الفضاء الذهني تمامًا. والفضاء الذي يعمل على بناء المعنى وعلى مزج فضاءي الدخل يدعى الفضاء العام، وهو يقدِّمُ معلوماتٍ مجردة على نحو كاف لتصبح مشتركة بين كلا الفضاءين (الأدوار الدلالية: منفذ، مستفيد، وسيلة، إلخ). وتُربطُ العناصر في الفضاء العام بالنظائر في فضاءي الدخل، مُحَفِّزَةً بذلك تحديد النظراء في فضاءي الدخل. ونوضح ذلك في الشكل التالي:

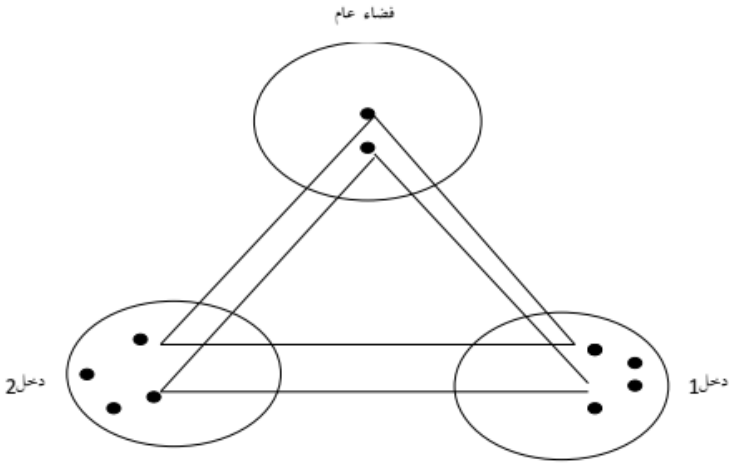

الشكل 2. **إضافة الفضاء العام.**

يضيف الشكل أعلاه، الفضاء العام، وهو يضم كما قلنا معلومات مجردة مشتركة بين الفضاءين، ومعنى ذلك أنه يقدم أدوارا دلالية لعناصر الدخلين، من قبيل: المنفذ

والهدف والوسيلة والعامل والمستفيد، إلخ. فلو رجعنا إلى استعارة هذا الجراح جزار لوجدنا في الفضاء العام أدوار العامل والخاضع والوسيلة والفضاء، إلخ.

وتكمن الإضافة الحقيقية لنظرية المزج في أنها تدَّعي أنه أثناء عملية المزج بين فضاءي الدخل تنتُجُ بنية منبثقة عن هذه العملية تدعى الفضاء الممزوج أو فضاء المزج، وهي بنية تحتوي على معلومات جديدة غير موجودة في فضاءي الدخل؛ حيثُ يأخذ المزج عناصر من الفضاءين (كما هو مشار إليهم بواسطة الخطوط المتقطعة)، مؤديا إلى تقديم بنية إضافية تميِّزُ المزج من الدخلين المكونين له. ونوضح ذلك أيضا في الشكل أسفله:

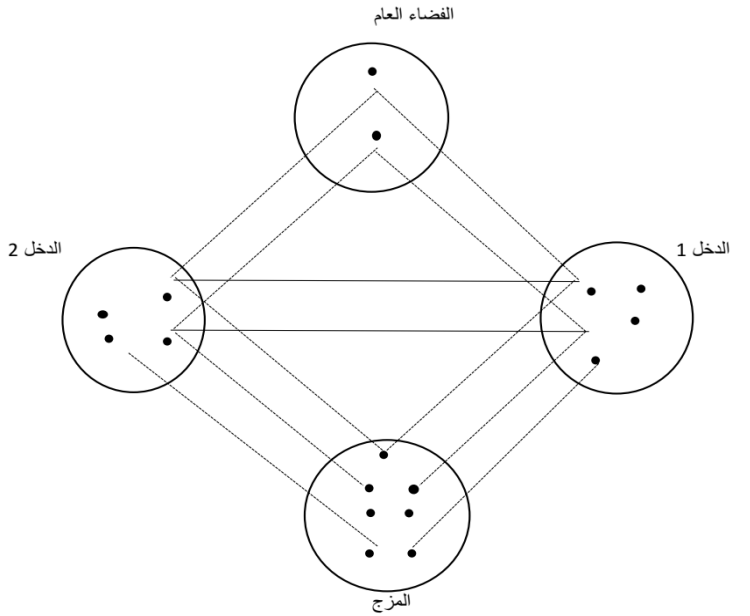

الشكل 3. شبكة الدمج الأساسية.

تقوم هذه البنية البارزة بتفسير التقييم السلبي المرتبط باستعارة هذا الجراح جزار؛ إذ رغم أن الجزارة مهنة تتطلب مهارة عالية، إلا أن مهاراتها غير ملائمة

لإنجاز عملية جراحية لمرضى بشريين؛ فبينما تحاول الجراحة إنقاذ أرواح الناس، تشتغل الجزارة بتقطيع أوصال الذبائح. من ثم يتضمن عمل الجراحة الإصلاح وإعادة البناء، بينما الجزارة تتضمن تقطيع الأوصال... ويُسَهِّلُ الفضاء العام تماهي النظراء في فضاءي الدخل عبر العمل كقالب لبنية مشتركة. إن هذه النظائر هي التي يمكن أن تسقط في المزج، وشبكة الدمج لهذا المزج موضحة في الشكل أدناه:

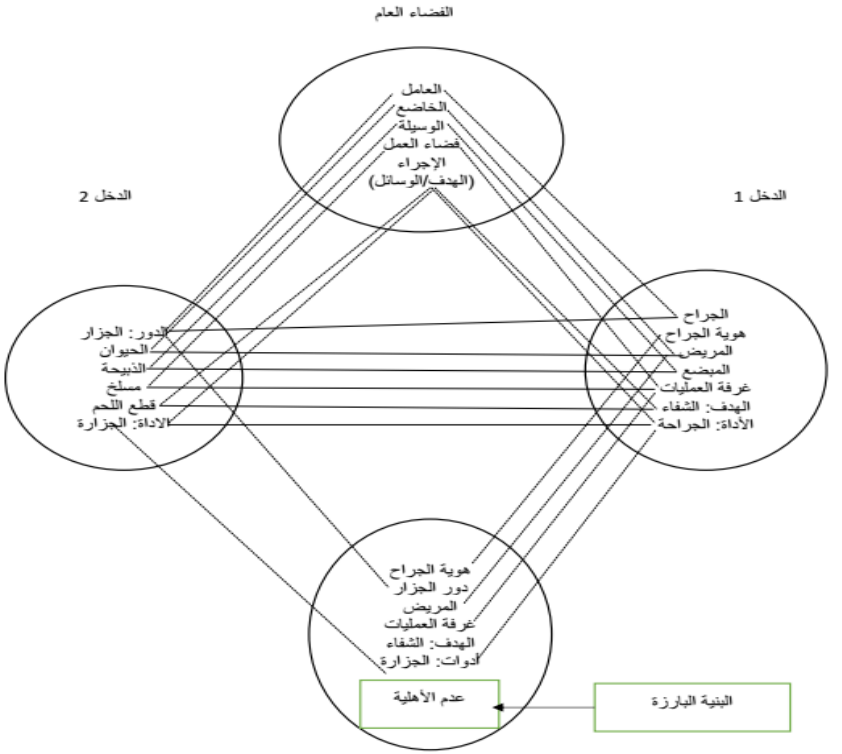

الشكل 4: شبكة مزج الجراح بوصفه جزارا.

إن هذا النوع من الاستعارات هو الذي حفز على قيام فوكونيي وتورنر بتطوير نظرية المزج، غير أن نظرية المزج لا تقتصر على هذا النوع فقط بل تشمل أنواعا أخرى من التفكير البشري اللغوي منها وغير اللغوي.

ثالثا-عناصر المزج التصوري:

حدَّدَ مارك وتورنر ثلاثة عمليات مُكَوِّنَةٍ تؤدي إلى البنية البارزة في نظرية المزج، وهي: التأليف، والإتمام، والبلورة. تتضمن العملية المكوِّنَةُ الأولى تأليفا بين عناصر من دخلين منفصلين، ففي المثال أعلاه تؤلَّفُ عناصر مسقطة من دَخْلِ الجراح بتلك العناصر المسقطة من دَخْلِ الجزار ويحدث تبعا لذلك علاقات لم تكن موجودة في ذينك الفضاءين منفصلين، و"تنشئ عملية التركيب فضاء مزيجا قد يوافق الواقع وقد يخالفه، من ذلك أن اشتغال جزار في قاعة العمليات بأدواته وطريقته المعلومة أمر مستبعد، ولكن ذلك لا يمنع من تصور المشهد تصورا افتراضيا"(30)، أما عملية الإتمام فتتضمن التوظيف غير الواعي والسَّهْلَ للأطر الخلفية. وفيها يُكْسَى "النموذج التصوري الذي ينشأ في الفضاء المزيج بالتركيب، أبعادا ما بالعود إلى المعارف العامة المحفوظة في الذاكرة طويلة المدى"[31]. وتكمل هذه المعارف التأليف؛ فمهارات الجزارة غير مطلوبة في الجراحة، واعتمادها يسبب أذى للمرضى، ومن ثم عدم كفاءة الجراح. وهكذا تنتج البنية البارزة عن طريق البلورة التي تعمل على تشغيل المزج.

2-**الاستعارات التصورية المرتبطة بالشهادتين:** نخصص هذا المحور التطبيقي لدراسة الاستعارات التصورية المرتبطة بالشهادتين، من أجل كشف النسق التصوري المرتبط بها. وبعبارة أخرى كيف تصور الدين الإسلامي الشهادتين؟ وكيف قدمَهُما للإنسان العربي؟ بما أنهما يمثلان المدخل الأساسي للدخول في الدين الإسلامي.

وبما أن موضوع بحثنا مرتبط بمعجم مفردات ألفاظ القرآن، فقد توقفنا بالاستعارات الموجودة فيه والمرتبطة بالقرآن، مع عدم إغفال دينامية الخلق الاستعاري الحديث، الذي سنشير إليه بمثال مأخوذ من كلام لفضيلة الشيخ بن صالح العثيمين- رحمه الله-وسنبدأ بتحديد مفهوم الشهادة في معجم الراغب الأصفهاني، ثم نقوم بعد ذلك بدراسة هذا المفهوم باعتماد نظرية المزج التصوري إطارا وصفيا وتحليليا، ثم نختم بتفسير للتصور الاستعاري لمفهوم الشهادتين.

2-1-دلالة الشهادة في معجم مفردات ألفاظ القرآن:

إن المتصفح لمعجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، يجد في مادة "شهد" معاني عديدة مرتبطة بهذه الكلمة؛ حيث يُعَرِّفُ الراغب الشهادة فيه بأنها: "قول صادر عن عِلْمٍ حَصَلَ بِمُشَاهَدة بَصِيرَةٍ أو بَصَرٍ"[32]. ويقسم فعل الشهادة؛ أي "شَهِدْتُ" إلى قسمين، نوضحهما كالآتي:

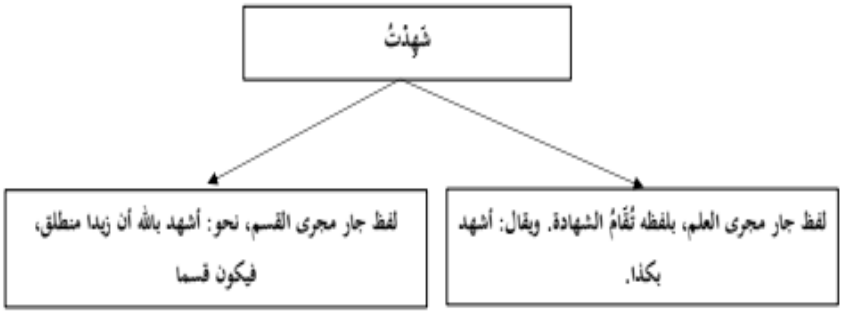

الجدول 2: دلالة لفظ الشهادة في معجم "مفردات ألفاظ القرآن".

وتدلُّ الشهادة أيضا على معنى الحضور، والحكم بالشيء، والإقرار به[33]. ويشير الراغب في نهاية المدخل المعجمي المخصص لمادة "شهد" إلى أن التشهد هو قول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله"، وينبه إلى كون التشهد أصبح اسما للتحيات المقروءة في الصلاة، والذكر الذي يقرأ ذلك فيه"[34].

نستنتج من هذا العرض المعجمي أن الشهادة تدل على العلم بالشيء، ثم إنها قَسَمٌ، ومن ثم فعل كلامي تنتج عنه سلوكات معينة، وارتباط الشهادة بالعلم تصور سنقف عنده بتفصيل أدناه، وهو تصور له أهمية كبيرة في إدراك مفهوم الشهادتين في الإسلام.

2-2-استعارات الشهادتين في التصور الإسلامي: قلنا إن الكلمات-في الدلالة العرفانية-لا ينظرُ إليها بكونها حُزَمًا مَحْشُوَّةً بالمعنى بِدِقَّة بل هي "نقط نفاذٍ" إلى مخازن واسعة من المعرفة الموسوعية المرتبطة بمفهوم خاص أو مجال تصوري[35]، وكذلك هو الحال بالنسبة للفظ الشهادتين الذي يعد الركن الأساسي في الدين الإسلامي؛ فهو يستحضر مقولات عديدة تتدرج في إطار الدين التي بها يفهم معناه، وسنهتم بتمثيل الشهادتين بوصفهما معرفة في أذهان المسلمين. بعبارة أخرى: كيف تصور الدين الإسلامي الشهادتين؟

2-2-1-استعارتا: الدين الإسلامي بناية والشهادتان جدار من بناية الإسلام: تعد الشهادتان أولا وقبل كل شيء رُكْنًا من أركان الدين الإسلامي، ففي الحديث النبوي المروِيِّ عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: بُنِيَ الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إليه إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان"[36]. فالشهادتان ركن من أركان الإسلام، وهنا نتبين أن الدين

الإسلامي مُصَوَّرٌ على أنه بناية. وكما في الحديث أعلاه فقد استعملَ لفظ "بُنِيَ"، وهو لفظ يستعمل في المجال المصدر البناية لكونه عنصرا يدل على البناء، فهو فعْلُ البناء. ويرى لايكوف وجونسون في كتابهما الاستعارات التي نحيا بها أن تصور البناية building لديه عناصر مستعملة ك: "بَنَى" و"أَسَّسَ" وعناصر مهملة كالغرف الداخلية والسلالم والردهات(37).

ويشير التركيز على فعل البناء إلى الأسس التي تعتمدها عملية البناء، والساعية إلى إظهار مظاهر البناية وقوتها، وهذا ما نجده في مصطلح الركن الذي يدُلُّ على الجانب الذي يُسْكَنُ إليه، والذي يستعار للدلالة على القوة؛ "وأركان العبادات، جوانبها التي عليها مبناها، وبتركها بطلانها"(38).

إذا، يتصور الدين على أنه بناية، والشهادة على أنها جدارٌ. واستعارة الأمم بنايات NATIONS are BUILDING استعارة مألوفة في الثقافات الإنسانية؛ فهي تشير إلى تعيين الحدود، والإشارة إلى انبعاث الدول أو ولادتها أو إرجاعها إلى مسارها الأصلي، لكن عموما هي استعارة إيجابية. وبما أن الدين الإسلامي قد أتي ليبني دينا جديدا، فإنه اعتمد هذه الاستعارة التصورية لتعيين الجوانب المهمة في هذا البناء. وسنوضح هذه الاستعارة وفق نظرية المزج في الشكل أسفله:

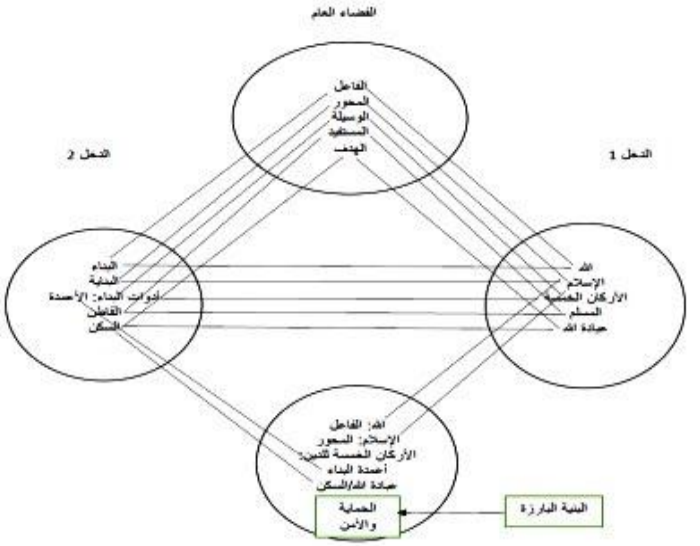

الشكل

5: شبكة دمج الإسلام بناية.

يبدو للمتأمل في الشكل أعلاه أن هناك إسقاطات حدثت بين إطاري الإسلام والبناء. فقد بنى الله الإسلام على خمسة أعمدة من أجل عبادته. وهنا يُفهم الدين انطلاقا من إطار البناء، وتتدخل التجربة البشرية في عملية بناء معنى هذا الحديث النبوي، فالبناء يحتاج أدوات كما يحتاج إلى أعمدة يقام عليها البناء، وأي إخلال بتقنيات البناء وأسسه ستؤدي لا محالة إلى سقوط البناء. ومن ثم ندرك أهمية الأركان الخمسة في الدين الإسلامي؛ فهي أعمدة إن زالت زال البناء. ويدل على ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[39].

ويشتغل إطار البناء أيضا-بناء على التجربة البشرية-ليقدم تأويلا لغاية البناء، وهي السكن والحماية، وفي بعض الحالات المجد والعزة. فقد يحدث أن يكون هناك بناء ذو رمزية لدى أمة معينة، كما هو الأمر بخصوص البيت الحرام وبيت المقدس

لدى المسلمين، وما إلى ذلك. وندافع في هذا البحث على دلالة الحماية والأمن والانتماء. ويمكن إيجادُ دعمٍ لهذه الدلالة في علم النفس الاجتماعي؛ فعادة ما يكون للناس انتماء قوي لمجموعة معينة بناء على ما يُوَحِّدُهم وليس على ما يميز بين الأفراد، فالدين الإسلامي السمح أسَّسَ بنايَةً تسمح لكل الإنسانية بالسكن فيها وإليها؛ فهي تضمن لهم الحقوق والمساواة. ولو تأملنا الدين الإسلامي لوجدناه يعزز قيم المساواة بدرجة كبيرة. فلا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى، وعليه فالبيت الذي يستطيع أن يقنع الناس أنهم متساوون فيه لا بد أنهم سيدخلون فيه أفواجا ويدافعون عنه بأرواحهم وأموالهم ... إلخ. وباستحضار تضمينات خطاطة صورة الحاوية([40]) هنا، يمكن القول إن معظم تلك التضمينات تحضر هنا؛ فالدين الإسلامي يشكل حماية للمسلمين من تأثيرات الديانات الأخرى المحرَّفة أو الممارسات الوثنية وغيرها كالمجوسية، كما أنه يشكل مقاومة تجاه هذه الأفكار الدينية، بإعطائه تصورًا نسقيا للحياة، وهو تصوُّرٌ أصبح شيئا فشيئا ثابتا ومنظورا مشتركا لدى العديد من الشعوب، لا سيما بعد الفتوحات الإسلامية التي أظهرت سماحة هذا الدين وانسجامه مع نواميس الكون. علاوة على كون تصور الدين الإسلامي بأنه بناية يتيح خاصية التعدية، التي تدلُّ على معنى الانتماء. ونشير إلى أن تصور الدين بأنه بناية لهُ تداعياتٌ في فهم المحدثين والقدماء، حيث يقول خالد بن سعود البليهد معلقا على حديث أركان الإسلام:

"لا يقتصر دين الإسلام على هذه الأمور الخمسة بل يشمل أعمالا وشعبا كثيرة، وإنما اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم على ذكر هذه الأركان الخمسة لأنها بمنزلة الدعائم للبنيان، وفي رواية للمروزي بلفظ (بني الإسلام على خمس دعائم) والمقصود تمثيل الإسلام بالبنيان وهذه الخمس هي دعائمه التي يقوم عليها فلا يثبت البنيان بدونها وبقية خصال الإسلام تتمة للبنيان فإذا فقد منها شيء نقص البنيان

وهو قائم لا ينتقض بنقص ذلك بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول بزوالها جميعا بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين[41].

وتعليق البليهد فيه استيعاب لتصور الدين على أنه بناية وإشارة إلى مركزية هذه الأركان في الدين. وقد انتبه النووي قبلَهُ إلى هذا الأمر في ذهابه إلى أن "هذا الحديث [حديث أركان الإسلام] أصل عظيم في الدين، وعليه اعتماده، وقد جمع أركانه"[42]. وذهب بعض الفقهاء إلى المقارنة بين هذه الأركان وبين الجهاد في سبيل الله، منتهيين إلى كون الجهاد ليس فرضَ عينٍ وإنما فرضُ كفاية لذلك كانت هذه الأركان أَوْلَى في الدين من الجهاد رغم مرتبته العليا في الدين[43]. وفي حديث معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله"[44].

2-2-1-1-تفسير لاستعارة الإسلام بناية: إن تصور الإسلام على أنه بناية يحمل دلالات عديدة؛ فقد أصبح أخيرا للعرب بيت يؤويهم بعد أن كانوا متفرقين ومتعددي الآلهة، وأصبح الإله إلها واحدا والبيت بيتا واحدا. وهذا يجعل المنضوين في البيت لديهم الحقوق نفسها وعليهم الواجبات نفسها كذلك، ويحمل البيتُ دلالات الاستقرار والانتماء والملكية، وهي كلها دلالات إيجابية كانت غاية الإنسان العربي، لا سيما أنه يدرك أن الحفاظ على سلامته رهين بأن يكون البناء سليما ومتقن الصنع، وكذلك يريد الدين الإسلامي أن يغرس في نفوس المسلمين بأن الإسلام يجب المحافظة على شعائره لأنه بالحفاظ عليها يحافظ على الدين، والتفريط في إحداها تهديد لسلامة الدين بالهدم والسقوط.

ونسوق نصا طريفا لمحمد نعمان الجارم في كتابه أديان العرب في الجاهلية يعكس هذا الاختلاف بين الدين الإسلامي والديانتين اليهودية والمسيحية، وجاء فيه: "فقال اليهودي: إنَّك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله... فقال له

النصراني: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. فقال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا، وأنا أستطيع. فهل تدلني على غيره. قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا"[45].

يبرز هذا النص أن الديانتين اليهودية والمسيحية كانَ الدخولُ إليهما يفترضُ أمورا تثقل كاهل الإنسان العربي، بينما الدين الإسلامي دعاهم بطريقة مختلفة تخاطب وجدانهم؛ إنها دعوة إلى الانتماء إلى فضاء واحد الكُلُّ فيه متساوٍ، والكُلُّ يؤدي الشعائر الدينية نفسها، والكل فيه متآزر ومتضامن، لا سيما أن دلالة البناية كما أشرنا دلالة إيجابية للغاية لما تحمله من استقرار وانتماء وملكية، وهذا في نظرنا أسهم –إلى حد ما–في إنجاح الدعوة إلى الإسلام، من خلال غرس هذه التصورات في الذهن العربي ما قبل الإسلامي. ونشير هنا إلى مسألة أساسية في فشل الديانات السابقة للإسلام على القضاء على الوثنية، فالأسباب التي أشار إليها الباحث سهيل طقوس[46] والمبرزة لفشل الديانتين اليهودية والمسيحية في الانتشار في القبائل العربية؛ أي: فشل الحنيفية في وضع حلول للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعاني منها عامة الناس في مكة كي تستطيع أن تستقطب إليها المظلومين والمعدمين. وكذلك فشل النصرانية بسبب اختلاف مبادئها عما ألفه العرب الوثنيون. وفشل اليهودية لعدم اهتمامها الجدي بالتبشير بالدين؛ اعتقادا من اليهود أنهم شعب الله المختار وأن الشعوب الأخرى غير جديرة بذلك. كلُّ هذه الأسباب تتلخَّصُ في قيمٍ دعا إليها الإسلام وحثَّ عليها وطبَّقها؛ أي: المساواة بين المسلمين، وفرض نظام الزكاة، وتعزيز بعض أخلاق العرب كالكرم والنجدة والشجاعة، إلخ. والسعي الدؤوب إلى نشر الإسلام والتحبيب فيه. وكل هذه القيم ترسخت في أذهان المسلمين من خلال أحاديث النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ويجدُ تَصَوُّرُ الحماية–انطلاقا من اعتبار الدين بناية–ما يسنده في اللسانيات العرفانية تبعا لفرضية العرفانية المجسدنة؛ فالبناية

تمتلك خصائص بنيوية من قبيل كونها تتكون من جدران وسقف وباب مغلق، وهو ما يعمل على إبراز خاصية الاحتواء التي تعززه خصائص الجسد البشري الذي تحتويه البناية.

2-2-2-استعارة الشهادتان رؤية: إذا كانت الشهادتان جدارا من جدران الإسلام؛ أي أساسا من أسسه، فهل صورت وفق هذا التصور فقط؟ بطبيعة الحال، الجواب سيكون بالنفي. فالشهادتان صورت ولا تزال تصور وفق طرق عديدة، مما يخلق حركية مستمرة في الحديث عنها. فالمعجم ورد فيه أن الشهادة تكون بالبصر أو البصيرة، وهذا يشير إلى تصور الشهادتين على أنها رؤية. وهذا ما يدل عليه تفصيل العلماء في شروط قبولها؛ أي القبول بما اقتضته بالقلب واللسان، والانقياد لما دلت عليه، والصدق فيه المنافي للكذب، والإخلاص بتصفية العمل بصالح النية، والمحبة لهذه الكلمة، وما اقتضته ودلت عليه، والكفر بما يعبد من دون الله(47).

إن المتشهد أو الذي يدخل الإسلام يدخله عن اقتناع به، ببصره أو ببصيرته، أي بما شاهده من أخلاق المسلمين ومعاملاتهم (وقديما مما شاهده من معجزات النبي) أو بما توصل إليه من النظر في تعاليم الإسلام ومقارنتها بالواقع الذي يعيشه. ويعدُّ هذا التصور انعكاسا لاستعارة أولية بمفهوم غرادي، هي: الفهم رؤية، وتتمثل هذه الاستعارة الأولية في استعارات مركبة من قبيل: التفكير إدراك، والمعرفة إدراك، والمعرفة رؤية، إلخ. فحينما تعرف ترى، وتغدو الشهادة معرفة بعد رؤية بصرية أو قلبية (بالبصيرة). ويمكن التعبير عن هذه الاستعارة وفق نظرية المزج في الشكل الآتي:

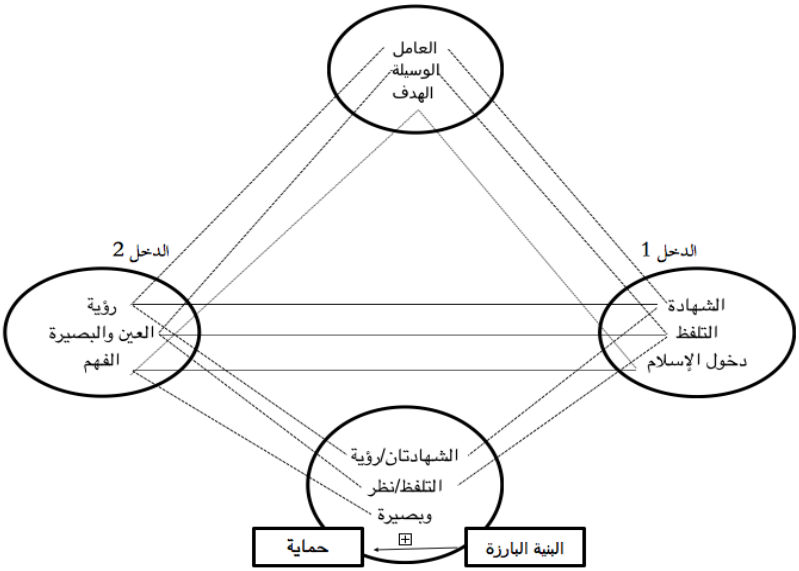

الشكل 6. شبكة الدمج الأساسية لاستعارة: "الشهادتان رؤية".

يشير المعنى المعجمي لكلمة الشهادة إلى معنى الرؤية بالبصر والبصيرة، وكما يوضح الشكل أدناه يعمل هذا الفهم على بناء فضاءين ذهنيين يدخلان في شبكة مزج تصوري، وتظهر البنية الناشئة في الفضاء الممزوج؛ حيث العناصر الثلاثة المتناظرة في كل فضاء دخل تنصهر عبر التأليف، منتجة عملية المزج، وتبرز البنية الناشئة دلالة الحماية. ونصل إلى هذه الدلالة من خلال تصوُّر الشهادة على أنها رؤية، والتلفظ بها يناظر العين أو البصيرة في عملية الرؤية، والفَهْمَ نَظَرٌ، وهو تصور تأتي عملية الإكمال لإغنائه عبر تنشيط الأطر التصورية للفهم والرؤية ولأهمية النظر في إدراك الأمور، بما أن الفرق بين الحقيقة والكذب يتمثل في النظر. ف"ليس من رأى كمن سمع". فكيف إن كانت الرؤية رؤية قلبية، أو بالمعنى الحديث

عقلية، أي قائمة على إدراك سليم للأمور. لذلك لا نستغرب تعريف الراغب للشهادة بأنها: "قول صادر عن عِلْمٍ حَصَلَ بِمُشَاهَدة بَصِيرَةٍ أو بَصَرٍ". فهي علم في نهاية المطاف. والعلم ضد الخطأ والجهل وعدم إدراك الأمور، ومن ثم ضبابية الرؤية أو انعدامها. وفي هذا حماية لهذا المرء من أهوال الآخرة وعذابها، فالرؤية تتيح للسالك سبل النجاة، بينما العتمة تشير إلى معاني الخطر والهلاك.

ويجدُ تَصَوُّرُ الفهم–انطلاقا من اعتبار الشهادتان رؤية–ما يسنده في اللسانيات العرفانية انطلاقا من فرضية العرفانية المجسدنة، فالجسد يتبين الأمور ويفهمها عندما يبصرها، والنور وسيلة للرؤية ومن ثمة الفهم. ومن هنا نفهم ارتباط العلم بالنور والجهل بالظلام.

ويمكن أن نضيف إلى هذا التصور، تصورا آخر حديثا يتمثل في استعارة الشهادتان مفتاح، حيث جاء في إجابة للشيخ محمد بن صالح العثيمين–رحمه الله–ما نصه: "الشهادتان: "شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله"، هما مفتاح الإسلام ولا يمكن الدخول إلى الإسلام إلا بهما، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن أن يكون أول ما يدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله"[48].

تصبح الشهادتان مفتاحا لدخول الإسلام، والمفتاح أداة من أدوات فتح ما هو مغلق، والمقصود هنا بناية الإسلام. ويشير هذا النص إلى استعارة فرعية لاستعارة الدين بناية، هي: الشهادتان مفتاح. فبحفز من "الشهادتين" و"مفتاح الإسلام"، فإن فضاءين ذهنيين يبنيان ويدخلان في شبكة مزج تصوري، البنية الناشئة تظهر في الفضاء الممزوج؛ حيث العناصر المتناظرة في كل فضاء دخل تتصهر عبر التركيب، منتجة عملية المزج، حيث البنية الناشئة تتصور الإسلام على أنها بناية لها باب، وأن

الشهادتين مفتاح هذا الباب. وتأتي عملية الإكمال التي تنشط الأطر التصورية للبناية والمفتاح، ولأهمية المفتاح في الدخول إلى منزل معين. وتأتي البلورة لجعل السامعين يعُونَ أن البناية تحتاج لكي يدخلها الإنسان إلى مفتاح هو الشهادتان، وهكذا فإن عدم الممتلك للمفتاح لا يستطيع دخول دار الإسلام، ومن ثم لا ينتمي إليها. كما أنه لن تناله حماية تلك الدار، وهنا يبرز المعنى الناشئ من المزج أي معنى الحماية.

ويمكن أن نلخص تصور الإسلام على أنه بناية، والتصورات الاستعارية للشهادتين في الدين الإسلامي حديثا وقديما في الخطاطة التالية:

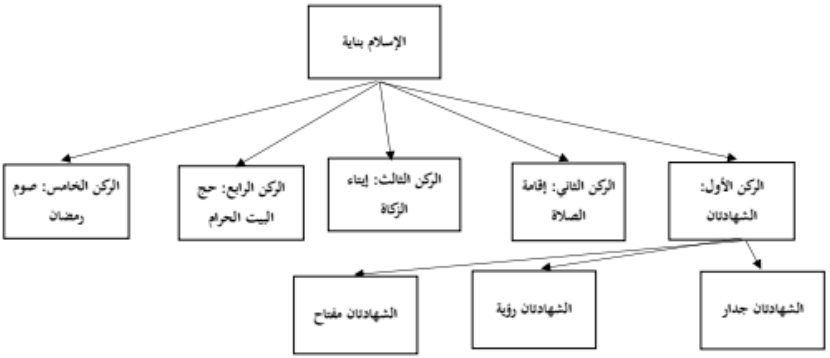

الشكل 7: تصور الشهادتين في الذهن الإسلامي.

يلخِّصُ الشكل أعلاه تصور الدين الإسلامي للشهادتين، فهما جدار مؤسس لبناية الإسلام ومفتاح لهذه البناية ورؤية في هذه الحياة؛ أي فهم وعلم بحقيقتها. ويقودنا هذا الأمرُ إلى الإشكالية التي انطلقنا من البحث فيها، المرتبطة بسؤال التأثير والتغيير في تصور قبائل ما قبل الإسلام للدين، لكن قبل ذلك سنعرض لتفسير آخر قدّمه محمد نعمان الجارم في كتابه أديان العرب في الجاهلية (1923)؛ إذ يرى هذا الكاتب أن اليهودية لم تستطع القضاء على الوثنية في بلاد العرب لكون أحكامها

مبنية على المشقة؛ فالغنائم تحرق بدل أن ينتفع بها. وهذا في نظره يخالف "طرق معاشهم القائمة على الغزو والسلب والنهب"[49]. أما النصرانية[50] فهي بدورها لم تنشر كثيرا ولم تتغلب على الوثنية لأنَّ لها تعاليم تخالف أخلاق العربي، كالجهل والطيش والفتك[51]. ويعزو الكاتب انتشار الوثنية في بلاد العرب، وعدم شيوع النصرانية واليهودية إلى أخلاق الإنسان العربي، "الطامح بطبيعته إلى الفخر والخيلاء والسفك. لا يعرف القعود على الضيم ولا الصبر على أذى المؤذين وصفع الصافعين"[52]. وقد تكون هذه الصفات سببا في عدم انتشار الديانتين اليهودية والنصرانية، لكن دخول العرب إلى الإسلام لا يصل الكاتب إلى تبريره، فكيف تقبل الإنسان العربي الإسلام دون غيره؟ هل يحث على الأخلاق العربية المذكورة في نص الجارم؟ بطبيعة الحال هو لا يفعل ذلك. مما يستوجب النظر في تصور الدين الذي أتى به الإسلام. والذي جعل الناس يقبلون إليه.

نزعم في هذا المقال أن التصورات الاستعارية لعبت دورا مهما في هذا الإقبال. فالقرآن–في نهاية الأمر–معجزة لغوية، واللغة في اللسانيات العرفانية نقط وصول إلى النسق التصوري الذي تمثله الاستعارة التصورية. لقد أتى الإسلام بتصورات جديدة، ما يهمنا منها هو تصور الشهادتين؛ فلا داعي لكي تقوم بطقوس كثيرة لتدخل الإسلام. يكفيك النطق بالشهادة لتعتبر مسلما. أضف إلى هذا المنحى السهل في الدخول إلى دار الإسلام تصور الإسلام نفسه، أي بكونه بناية. وهو ما يجعل العربي يحس بالأمن بالدخول إلى هذه البناية، فهو مفكك كثيرا، ووجد الدار التي تحتويه وتضُمُّهُ إلى كيان واحد، وهذا يعمل على تقوية روابط القرابة بين المسلمين. أضف إلى ذلك الشعور بالانتماء، فأخيرا وجدا العربي على اختلاف مشاربه وقبائله ولونه دارا تضم الجميع وتساوي بينهم؛ إذ يكفيه التلفظ بالشهادتين ليصبح متساويا في الحقوق مع غيره من المسلمين كيفما كان نوعهم أو شكلهم.

ترتبط الشهادتان أيضا بالفهم والعلم، أي بفهم قوانين البناية وطرق تنظيمها، وبصفة خاصة ما تقدمه له وتدعوه إليه. إن الدين الإسلامي يدعو العربي ليفهم ويعي قبل أن ينضم إلى البيت الإسلامي. وهي دعوة تَتْبَنِي على وسيلتين: مشاهدة بالبصر لتعاليم الإسلام، المتجلية في معاملات المسلمين مع ببعضهم بعضا أو مع الآخرين أو الله أو مع الطبيعة، وفهم بالبصيرة للوصول إلى معقولية الدين الإسلامي، نظرا لتعاليمه التي تسعى إلى تغيير السلوكات الإنسانية لما فيه خير للإنسان.

وتجدر الإشارة في نهاية هذا البحث إلى كون الشهادتين هما إقرار من لدن المتلفظ، أو بلغة التداوليين فعل كلامي، فهو تلفظ ينتج عنه تحول شخص من ملة معينة إلى الدين الإسلامي. وتنتج عن هذا الفعل الكلامي معاملات كثيرة تهم الشخص المسلم؛ فهو مثلا يجعل دمه وماله حراما "من قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه"[53]، ويتيح له الدخول إلى الجنة "من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله... أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية"[54]، وهناك حديث نبوي آخر يبرز بحق هذه القوة الإنجازية لفعل الشهادتين، فعن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أناس من جهينة، فأتيت إلى رجل منهم فذهبت أطعنه، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فقتلته، فجئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرته، فقال: أَقَتَلْتَهُ وقد شهد أن لا إله إلا الله؟ قلت: يا رسول الله، إنما فعل ذلك تعوذا، قال: فهلا شققت على قلبه"[55].

خاتمة: حاولنا في هذا المقال تقديم نبذة مختصرة عن اللسانيات العرفانية، وبصفة خاصة شقها الأساسي؛ أي الدلالة العرفانية. كما عرضنا لنظرية المزج التصوري، باعتبارها نظرية متطورة في دراسة بناء المعنى وتمثيل المعرفة. ثم في شق تطبيقي درسنا معنى الشهادتين في الدين الإسلامي، متخذين نظرية المزج التصوري منهجا وصفيا وتحليليا. وقد خلصنا إلى أن الشهادتين نُظِرَ إليها بوصفها جدارا يتأسس عليه الدين الإسلامي، وهو ما يشير إلى بطلان هذا البناء دون هذا الجدار، كما نُظر إليها أيضا بأنها مفتاح بيت الإسلام وفعل كلامي يتيح للشخص الناطق بها حقوقا وواجبات ووعودا بالجنة وغيرها. كما تصورت الشهادتان بأنها رؤية؛ أي فهم لحقيقة الدين. وقلنا إن هذين التصورين أسهما في تغيير العقلية العربية ما قبل الإسلامية لكونهما أتاحا الإحساس بشعورين اثنين، هما: الأمن نتيجة الانتماء واليقين نتيجة الفهم. وهما ما أتاح في نظرنا قبول هذا الدين خلافا للديانتين اليهودية والنصرانية.

إن البحث في الاستعارات التصورية عن طريق دراسة التعابير الاستعارية يمثل خطوة مهمة لدراسة النسق التصوري الذي أتى به الإسلام ليغير الذهن العربي، ويجعله ذهنا إسلاميا، وهي دراسة تتيح فهما أوسع لطرق اشتغال الاستعارة وطرق تأثيرها، ومن ثم فهم أعمق لطبيعة الكائن البشري.

مَصَادِرُ الدِّرَاسَةِ وَمَرَاجِعُهَا

أولا-مصادر الدراسة:

- القرآن الكريم
- البخاري، محمد بن إسماعيل (1422هـ). صحيح البخاري، تحقيق محمد الناصر. ط 1. دار طوق النجاة. لبنان.

-الأصفهاني، الراغب (2009). مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق مصطفى العدوي. ط1. فياض للتجارة والتوزيع. مصر.

ثانيا-مراجع الدراسة:

1. إيفانز، فيفيان وملاني غرين (2017). "ما هو علم اللغة الإدراكي"؟ ترجمة أحمد الشيمي. مجلة فصول، 100: 78-95.

2. البوعمراني، محمد الصالح (2009). دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني. ط 1. مكتبة علاء الدين. صفاقس.

3. التبريزي، محمد بن عبد الله (1985). مشكاة المصابيح. تحقيق محمد الألباني. ط3. المكتب الإسلامي. بيروت.

4. الترمذي، محمد بن عيسى (1975). سنن الترمذي. ط2. تحقيق أحمد شاكر ومحمد عبد الباقي وإبراهيم عطوة. شركة ومطبعة مصطفى الحلبي. مصر.

5. الجارم، محمد نعمان (1923). أديان العرب في الجاهلية. ط1. مطبعة السعادة. مصر.

6. الزناد، الأزهر (2010). نظريات لسانية عرفنية. ط1. الدار العربية للعلوم ناشرون ودار محمد علي للنشر ومنشورات الاختلاف. بيروت-مصر-الجزائر.

7. طقوش، محمد سهيل (2009). تاريخ العرب قبل الإسلام. ط1. دار النفائس. بيروت-لبنان.

8. العثيمين، محمد بن صالح (1422هـ). مجموع فتاوى ورسائل عثيمين. ط1. جمع وترتيب فهد السليمان. دار الوطن -دار الثريا. السعودية.

9. غاليم، محمد (غير منشور). نظرية المزج التصوري عند فوكونييه وتورنر.

10. كون، توماس (1992). بنية الثورات العلمية، ط1. ترجمة شوقي جلال. مجلة عالم المعرفة. 168.

11. الموحى، عبد الرزاق رحيم صلال (2001). العبادات في الأديان السماوية: اليهودية-المسيحية-الإسلام. ط1. الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية. دمشق.

ثالثا-مراجع باللغة الإنجليزية:

1. Croft, William and D. Allan Cruse (2004). Cognitive Linguistics. Cambridge University Press, UK.

2. Evans, et al. (2007). The Cognitive Linguistics Reader. Equinox. London.

3. Evans, Vyvyan and Melanie Green (2006). Cognitive Linguistics: An Introduction. Edinburgh University Press. Edinburgh.

4. Lakoff, George. and Mark Johnson (1980). Metaphors we live by. University of Chicago Press. London.

المواقع الإليكترونية:

http://bit.ly/2nWvZnw -

الهوامش والإحالات.

---

1 - محمد الجارم، أديان العرب في الجاهلية، 1923: 201-209.

2 - توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، 1992: 34.

3 - Croft and Cruse, Cognitive Linguistics, 2004: 1.

4- ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، 2010: 28-29.

5 - Croft and Cruse, 2004:1-3.

6 - Croft and Cruse, 2004: 11.

7 - Evans et al., The Cognitive Linguistics Reader, 2007: 264.

8 – الأزهر الزناد، 2010: 33.

9- Evans et al., 2007: 4.

10- Evans and Green, Cognitive Linguistics : An Introduction, 2006: 40-41.

11- الأزهر الزناد، 2010: 33.

12 - Sweetser, 1990: 4 in Evans and Green, 2006: 156.

13 - Talmy, 2000: 4 in Evans and Green, 2006: 156.

14 - Evans and Green, 2006: 153.

15 - Evans and Green, 2006: 157.

16 - Evans and Green, 2006: 157-158.

17 – محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، 2009: 91.

18 - Lakoff and Johnson, 1980: 32 in Evans and Green, 2006: 158.

19– نشير إلى أننا سنكتب الاستعارات التصورية بخط مائل وظاهر، تمييزا لها. وأيضا لكون اللسانيين العرفانيين يميزونها بكتابتها بأحرف كبيرة. علما أن الاستعارة التصورية ليست هي التعبير الاستعاري، هذا الأخير ما هو إلا انعكاس لغوي للاستعارة التصورية (انظر لمزيد من التفصيل محور الاستعارة التصورية).

20 - Evans and Green, 2006: 158.

21 - Evans and Green, 2006: 160.

22 - Evans and Green, 2006: 161.

23 - Ibid.,P : 162.

24 - يقترح الأزهر زناد ترجمة كلمة on-line بآن قولي (انظر: الزناد، 2010: 252).

25 – Evans and Green, 2006: 163.

26 - إيفانز وغرين، ما هو علم اللغة الإدراكي؟ ترجمة أحمد الشيمي، 2017: 91.

27 – محمد غاليم، نظرية المزج التصوري عند فوكونييه وتورنر. مقال غير منشور.

28 – المرجع نفسه.

– الأزهر الزناد، 2010: 229-29.230

– الأزهر الزناد، 2010: 30231

– الأزهر الزناد، 2010: 31.231

32 – الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، 2009: 465.

33 – الراغب، 2009: 466.

34 – الراغب، 2009: 467.

35 - Evans and Green, 2006: 160.

36 صحيح البخاري، 11/1.

37 - Lakoff and Johnson, Metaphors We Live By, 1980: 53.

38 – الراغب، 2009: 365

39– الترمذي، سنن الترمذي، 1975: (13/5).

40– يرى جونسون أن هناك خمسة تضمينات لخطاطة الحاوية، وهي: أنها 1) تتضمن تجربة الاحتواء بشكل نمطي الحمايةَ من قِوًى خارجية أو مقاومة تلك القوى، وأنها 2) تحدُّ القوى داخل الحاوية وتُقيِّدُهَا، وأنها تجعل الأشياء تصبح ثابتة نسبيا في المكان، وأنها تجعل الأشياءَ إما متاحة للنظر أو غير متاحة للنظر من قبل المشاهدين، وأنها تتميزُ بخاصية التَّعْدِيَّةِ، فإذا كنت في السرير والسرير في الغرفة، فأنا ضِمْنِيًا في الغرفة (ينظر: محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، 2009: 108-109).

41 – ينظر: خالد بن سعود البليهد، على الرابط التالي: http://bit.ly/2nWvZnw تاريخ الدخول: 2020/11/05، على الساعة 11.45 صباحا.

42 – صحيح مسلم: (179/1).

43 – بن سعود البليهد، المصدر السابق.

44 – رواه الألباني في صحيح الترمذي الرقم: 2616.

45 – محمد نعمان الجارم، أديان العرب في الجاهلية، 1923: 195.

46 – محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، 2009: 264؛ 272–273؛ 279–280.

47 – ابن باز، تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام، 2008: 24. كتاب إلكتروني على الرابط الآتي: https://bit.ly/2XZI7nz.

48 – مجموع فتاوي ابن عثيمين، 1413هـ: 79/1.

49 – محمد الجارم، 1923: 201.

50– نقرأ في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد العلي أن يهود الحجاز كانوا قبائل وعشائر وبطونًا، منهم بنو النضير وبنو قريظة وغيرهم، انظر ج:12، ص:89 – ص: 100، وعن القبائل النصرانية يذكر أن الحيرة كانت من المراكز المهمة في حركة التبشير بالنصرانية بين العرب، وبحسب قدرة "ملك الحيرة" تتوسع وتتقلص سعة القبائل المبشرة. ينظر المرجع نفسه، ج: 5، ص: 172.

51 – المرجع نفسه: 204.

52 – المرجع نفسه: 209.

53 صحيح البخاري، 63/9.

54 صحيح البخاري، 165/4.

55 – التبريزي، مشكاة المصابيح، 1985: 285/2.